

الأخلاق كمنطلق لحوار الحضارات

Ethics as a Foundation for the Dialogue of Civilizations

بوزاهر لبننة

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)

lobna-bouzahar@univ-eloued.dz

ملخص:	معلومات المقال
<p>في ظل حالات الصراع والحروب بين الشعوب والحضارات التي تشهدها الإنسانية اليوم نتيجة النظم السياسية والفلسفات الإيديولوجية التي تتبناها كل حضارة، إضافة إلى تضارب المصالح والاختلاف وواقع التعدد، وفي خضم هذه الأزمات التي تهدد كيان الإنسان وتسير بالإنسانية إلى الهلاك، أصبح من الضروري الجئ إلى الحوار كسبيل لخلاص البشرية من الشرور التي خلفها صدام الحضارات. وإيماننا بالتكامل الحضاري بين الأمم وبضرورة التواصل والحوار في سبيل الارتقاء بالإنسانية من حالة الصراع والصدام والاقصاء والتهميش، إلى حالة سمتها التعايش والتعاطف والتكامل، فإنه كضرورة ملحة يجب تفعيل المبادئ الأخلاقية في الحوار لتعزيز السلم والتعايش بين الشعوب والأمم، واستتكار مظاهر العنف والتطرف، والسعي لتأسيس حياة كريمة بمكافحة الأزمات الإنسانية من اضطهاد وظلم وتمييز عنصري وغيرها. نركز في هذه الورقة على مكانة الأخلاق في المعادلة الحضارية وفاعلية الفكر الأخلاقي في حوار الحضارات، بالحديث عن المبادئ الأخلاقية الكونية سواء كانت مستقاة من الدين أو من الفكر الفلسفي وجعلها قاعدة لحوار الحضارات الذي غايته السلام العالمي.</p>	<p>تاريخ الإرسال: 2023/06/18 تاريخ القبول: 2024/02/10</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ الأخلاق ✓ حوار الحضارات ✓ السلام العالمي
Abstract :	Article info
<p>In light of the conflicts between civilizations nowadays, as a result of political systems and ideological philosophies that threaten the existence of humanity, it has become necessary to resort to dialogue as a means to save humanity from clashes of civilizations. Believing in the cultural integration between nations and the necessity of communication in order to elevate humanity from a state of conflict, to coexistence and integration, it is an urgent necessity to activate ethical principles in dialogue to enhance peace among peoples and nations, renounce violence, and strive to establish a dignified life by combating human crises, such as persecution and injustice. The research highlights the role of ethics in the civilization equation and the effectiveness of ethical thinking in fostering dialogue among civilizations for the ultimate goal of global peace.</p>	<p>Received : 18/06/2023 Accepted : 10/02/2024</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Ethics ✓ Dialogue of civilization ✓ Global peace

❖ **مقدمة:** انطلاقاً من المسلمة القائلة بأن الإنسان مدني بالطبع، وباعتبار العزلة لا تشير لنمط إنساني مستمر، فإن الإنسان بذلك مفطور على العيش داخل جماعة، وهذا يجعل من الحوار فكرة ليست بالجديدة بل هي ملازمة للوجود الإنساني وضرورة يستدعيها الانتماء إلى جماعة، وهو ما يحيلنا إلى القول بأن فكرة الصراع أيضاً تضرب بجذورها في بدايات الوجود الإنساني. ومما لا شك فيه أن الأخلاق جزء من كل بناء حضاري وعنصر مكون له، فلقد اعتبر صاحب المقدمة "ابن خلدون" أن الأخلاق أو كما يسميها هو "خلال الخير" دعامة من دعائم قيام أي دولة واستمرار أي حضارة، وانهايار الأخلاق في حضارة ما هو أذان بخراب العمران فيها. والحديث عن ضرورة الحوار من جهة وعن قيمة الأخلاق من جهة أخرى، وفي ظل واقع الصراع والخلاف، فإن الضرورة تستدعي منا الجمع بين الحوار كآلية لانفتاح الحضارات على بعضها وإنهاء الصراعات بينها، وبين الأخلاق كقاعدة يتأسس عليها هذا الحوار الحضاري والذي يتيح بذلك تحقيق الغايات المرجوة منه.

❖ **إشكالية الدراسة:** تشير هذه الدراسة إشكالا حاولنا الإجابة عليه من خلال ما قدم في مباحثها، ويتعلق أساسا بالحوار بين الحضارات كآلية لإنهاء الصراع والصدام الحضاري، وما إذا كان حضور الأخلاق في هذا الحوار سيخلق فارقا في تحقيق غاياته. فإذا كان الحوار أسلوبا يبدأ عند الانتماء للجماعة - ما يعني أنه قديم - فلماذا لم يتمكن طوال السنوات الماضية من أن يكون حلا مخلصا للبشرية من كل حالات الصراع والصدام التي عاشتها؟ أيغني ذلك أن آليات الحوار بين الحضارات بحاجة إلى إعادة قراءة وإعادة ضبط؟ أليس من الضروري تفعيل الفكر الأخلاقي حتى يؤدي الحوار بين الحضارات غاياته؟

إن الهدف من إثارة هذا الموضوع هو تسليط الضوء على الدور الذي تلعبه الأخلاق في تعزيز الحوار بين الحضارات، بما من شأنه أن يحقق التعايش السلمي وانفتاح الأمم على بعضها وأن يكفل التكامل الحضاري بينها، وبالتالي التركيز على كون الفكر الأخلاقي منطلقا وقاعدة يتأسس عليها الحوار الحضاري الذي غايته السلام العالمي.

❖ **منهج الدراسة:** ولتحقيق أهداف هذه الدراسة عمدنا إلى استخدام المنهج التحليلي الوصفي، الذي من خلاله سنقوم بعرض وتحليل رؤى ومواقف وآراء مفكرين وفلاسفة وبعض المستشرقين حول مسألة حوار الحضارات باعتبارها مسألة خلافية، إضافة إلى تحليل مدى فاعلية القيم الأخلاقية في توجيه الحوار الحضاري وأثرها في بلوغ غاياته، وتفكيك آليات إرساء القيم الأخلاقية في الممارسة الحوارية بين الحضارات.

❖ **الحضارات بين الصدام والحوار:** اهتم رواد الفكر السياسي بالدعوة إلى الحوار بين الحضارات، ففي ظل حديث بعض المفكرين والمستشرقين عن صدام الحضارات خاصة مع الأمريكي صامويل هنتنغتون (1927-2008)، والبريطاني - الأمريكي برنارد لويس (1916-2018)، نجد في المقابل دعوات لتبني حوار الحضارات والدعوة للعيش المشترك خاصة مع المفكر والمستشرق الفرنسي روجيه جارودي (1913-2012) الذي عمل على بناء مشروع يتبنى الحوار بين الحضارات مناهضا لخطاب الكراهية والصراعات التي خلفتها الحروب وسماه مشروع الأمل. وبذلك نجد أن مسألة حوار الحضارات حسب جواده (2022) كانت ولا تزال مسألة خلافية تتضارب فيها الآراء والمواقف بين مؤيد ومعارض، أي بين من يرى في الحوار بين الحضارات والأهم ضرورة وحتمية وحلا لجميع الصراعات والخلافات التي تضرب الإنسانية، وبين من يرفض هذه الآلية باعتبار أن الحوار بين الحضارات غير متكافئ سواء من ناحية الفرص أو القوى أو الإمكانيات لأنه حوار بين القوي والضعيف، فهو بذلك لن يكون سوى أداة للاستعمار والاستغلال والتنصير والعنصرية، وغيرها من مظاهر الاضطهاد وتجسيد الفوقية وبالتالي فإن غاياته وأهدافه والأسس التي قام أو سيقوم عليها لن تعدو أن تكون مجرد حبر على ورق.

❖ **منطلقات صدام الحضارات:**

▪ **النزعة الاستعلائية للذات الغربية:** يرى زقزوق (2004) أن النزعة الاستعلائية الغربية تجسدت في عقدة التفوق أو الأفضلية في الجنس أو اللون أو المستوى الحضاري، وهو ما يميز الحضارة الغربية في وعيها بذاتها، مقابل نظرة الدونية والتهميش لكل ما هو خارج عن الذات الغربية، هذه النظرة الفوقية التي تخفي وراءها جرائم ضد

الإنسانية وممارسات لأخلاقية في حق الشعوب والأفراد، وهو ما عرضه روجيه جارودي بإسهاب في كتابه: "في سبيل حوار الحضارات"، موضحا الانتهاكات التي مارستها الحضارة الغربية بغرض فرض السيطرة والهيمنة بداية من الإبادة الجماعية للهنود الحمر، وصولا إلى مختلف الحملات الاستعمارية، التي اتخذت من العالم العربي والإسلامي وجهة لها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الاستعلاء والتفوق للذات الغربية ليس إلا نتيجة لنهب الثروات من آسيا وإفريقيا خاصة ونقلها لأوروبا وأمريكا، وما التأخر الذي يعيشه الشرق إلا نتيجة حتمية لاستغلال الغرب له (أورد في: جواده، 2022).

صرح مبروك (2002) أنه غالبا ما تكون نظرة الفوقية والاستكبار موجهة للعالم الإسلامي باعتباره الخطر الرئيسي الذي يهدد الحضارة الغربية في كيانها واستمراريتها ويقف في وجه الغزو الثقافي لهذه الحضارة، فهي ترى في الإسلام عدوا وخطرا محققا بكل ما هو غربي من منجز فكري وكيان حضاري وثقافة ودين، في الوقت الذي لا ترى في الثقافات والديانات الأخرى تهديدا جديا لها، ويعود ذلك إلى أن هذه المعتقدات والثقافات فارغة في محتواها لا يمكن أن تصمد في وجه حملات الاستغلال والاستعمار الغربي، في الوقت الذي تشكل فيه الحضارة الإسلامية كلا متكامل من العلوم والإنجازات الفكرية إضافة إلى كثافة العنصر البشري، الذي يعتنق الإسلام كدين ويجد الحقيقة في طياته لكونه لا يقتصر على الجانب الروحي فقط بل يمزجه بشيء من العقلانية والمنطق.

■ **التعصب الديني والإيديولوجي:** أكد حسين (2007) أن هذا المظهر لطالما شكل عائقا أمام كل تفاعل إيجابي مع الآخر، لأن رفض هذا الأخير بهويته وثقافته واختلافه يعد نقطة البداية لإدراك هذا الغير وبالتالي يمنع الاعتراف به، وهذا ما تجسد بين الحضارات وما سعت لتكريسه بعض الفئات سواء من الغرب أو من الحضارات الأخرى، خاصة فيما يتعلق بموضوع الدين أو المعتقد، وهناك من تبني الحوار وجعله واجهة لرفض التعددية الثقافية والدينية، وكان ذلك تحت غطاء حوار الأديان ونواياه الخفية، والتي يمكن القول أنها تعكس حالات التعصب والأنانية الدينية والإيديولوجية،

والغاية هي فرض نمط ديني وإيديولوجي معين باعتبار أن الآخر على خطأ، وهنا لا نتحدث عن الذات الغربية وحدها وما قامت به من حملات للتبشير، بل حتى الذات الشرقية بفلسفاتها الدينية والأيديولوجية عبرت عن رفضها لمقومات الهوية الغربية، محاولة أسلمة الغرب من خلال الدعوة، مقابل سعي الغرب لتتصير الشرق المسلم، وهو ما زاد الهوة بين الحضارات اعتبارا للأساس الديني والفكري وخلف العداوة والصراع مع الآخر المختلف في الدين والمعتقد.

ونظرا لهذا نجد العديد من الأطراف تتمسك بالصراع مع الحضارات الأخرى، وترفض كل شكل من أشكال الاحتكاك أو الحوار مع الآخر على أساس أن في الصراع مع الآخر تشبث بالهوية ومحاربة لكل مظاهر التقليد أو الانبهار أو الانقياد للآخر. وفي المجتمع الإسلامي نجد فئة من الإسلاميين من يرفض الحوار مع الحضارة الغربية ويتمسك بالصراع من منطلق أن في ذلك استمرارا لواقع تاريخي بين الحضارتين، تمثل في الحروب الصليبية الإسلامية، ما يجعل هذه الطائفة تلجأ لمعاداة الإنسانية باللجوء إلى وسائل غير مشروعة في تشبثها بهذا الصراع الحضاري.

■ **العولمة:** صرح براهيمي (2020) أن مفهوم العولمة Globalization في البداية كان يقتصر على الدلالات الاقتصادية فقط، وما تبعها من مظاهر تحرير التجارة والأسواق العالمية وإلغاء الحواجز الجمركية وغيرها، لكن هذا التوجه الشمولي والطابع الموحد لهذه السياسة لم يعد بعد ذلك مقتصرًا على المجال الاقتصادي فقط وعولمة الاقتصاد الرأسمالي، بل امتد هذا المفهوم ليصبح سمة تميز العصر الحالي في كل المجالات الاقتصادية وسياسيا وبالتحديد ثقافيا. والعولمة تعني جعل العالم موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة، فرغم ما تبنته سياسة العولمة من شعارات للسلام العالمي وما نادى به من دعوات لحفظ الحقوق الإنسانية ونشر الأمن ومحاربة الجريمة، فكانت بذلك تعبيرًا عن آمال البشرية، إلا أنها فشلت في تغطية جميع الشعوب بردائها الناعم، وجعلت الهوة تتسع بين عالمين الأول مسلوب الهوية يتخبط في الفقر والأمراض والعنف والجريمة، عالم منوم سياسيا واقتصاديا وثقافيا، والثاني نموذج للتطور الحضاري والتقدم الفكري والازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي. أما الداوي (2013) اعتبر العولمة

حتمية إيديولوجية فرضتها وسائل الإعلام ومن بعدها منصات التواصل، ولم تعبر عن حرية الشعوب في الاختيار فإما الاندماج والذوبان في قيم ومبادئ عالمية تتبنى الفكر الليبرالي باعتباره سمة النظام العالمي الجديد، وإما التقوقع والعزلة، وبالتالي التهميش والإقصاء من الحضارة الكونية التي سعت العولمة إلى إنشائها. وبالتالي فإن العولمة بحكم طبيعتها هاته جسدت نوعاً من الاستعمار الثقافي والغزو الفكري الذي يستهدف طمس الهوية والذوبان في الآخر نتيجة خطاب وهمي يحمل التناقض بين القول والفعل، فأفرزت بذلك انتفاء الثقة بين الشعوب والحضارات وخوف الجميع من الجميع (أورد في: براهمي، 2020). وهنا يجدر بنا الوقوف لمناقشة نقطة مهمة وهي أنه يبدو أن الغاية الأولى من سياسة العولمة كانت في الأساس ثقافية رغم أنها بدأت اقتصادية، والواقع أن وعي الشعوب بهذه الحتمية وهذا الواقع الذي فرض عليها وعمل على ضرب سيادتها وإضعاف سلطتها، جعل البعض منها يتبنى الصدام بدل الحوار وشكلت العولمة منطلقاً لذلك.

■ **العلم ومخلفات التقنية الحديثة:** لطالما كان العلم والتقنية نور الإنسان للخروج من ظلمات الخرافة والأسطورة، وهو الأمر الذي جعل ثقة الإنسان في التكنولوجيا تكاد تكون مطلقة، واضعاً بها كل آماله باعتبارها الحل والخلاص من مشاكل البشرية، ولكن بالموازاة مع كل تقدم تكنولوجي أو علمي، نجد اضطراب ثقة الإنسان في مخرجات التقنية، خاصة في ظل التنافس بين الشعوب والحضارات على امتلاك وسائل التقدم والتطور التكنولوجي والسعي وراء فرض السيطرة على العالم بغض النظر عن النتائج التي يمكن أن يتسبب فيها هذا الطموح المتزايد للدول. ويرى موهوب (2017) أنه تم السيطرة على عصرنا الحالي عقل أدواتي بامتياز يرى في التقنية القوة الوحيدة الكفيلة بتحقيق التقدم، هو الأمر الذي أثر على سير العلاقات الإنسانية التي أصبحت المادية سمتها الأساسية، ما أدى لغياب الجانب الروحي والتأملي وموت العاطفة وتلاشي الأخلاق، فالحضارة الغربية التي حازت على التقنية وخطت في طريقها مسافات طويلة عملت بالمقابل على تأليه العلم والطبيعة مقابل تغييب الدين والأخلاق والقيم وإقصائها من المعادلة الحضارية. فلقد نادى الفكر الحدائثي بفصل الأخلاق عن العلم، وهو ما

جعل هذا الأخير ينحرف عن مساره الطبيعي ويبتعد عن هدفه الذي وضع من أجله، فبعد أن كان العلم أداة للإنسان للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها له أصبحت الغاية منه السيطرة على الآخر، وهنا مكنم الخطر الذي يتجلى في استغلال نتائج العلم والتقنية لصالح أغراض بدل أن تكون في مصلحة الإنسان ستكون تهديدا لوجوده، فقد شهد العالم الحديث ثورات علمية كبيرة كان أهمها الثورة البيولوجية والثورة الايكولوجية، الأمر الذي زاد من مخاوف الإنسان اتجاه مخلفات التقنية، التي تستغلها الحضارات في فرض السيطرة والهيمنة على الآخر المختلف دينيا وثقافيا، وبالتالي فإن العلم ومخرجات التكنولوجيا بدل أن تكون سبيلا لتكامل حضاري غايته الارتقاء بالإنسانية والخروج من مطبات الفقر والتخلف، أضحت وسيلة للاضطهاد وسلاحا للحروب والصراع بين التكتلات والقوى الاقتصادية خاصة مع ما أفرزه التقدم العلمي في مجال الأسلحة النووية.

❖ الأخلاق الكونية كمنطق للحوار الحضاري: ليس ثمة شك في المكانة التي يحظى

بها الحوار لبناء قيم التعاون والتفاعل بين الحضارات، غير أن غاية الحوار الحضاري لن تتحقق إلا إذا أقيم هذا الحوار على جملة من المبادئ والقيم والأخلاقيات، وسنذكر بعضا منها فيما يلي بداية من الوعي بالمماثلة، ثم الوعي بالاختلاف الثقافي واحترامه، إضافة إلى قيمة التضامن بين الشعوب والحضارات.

▪ الوعي بالمماثلة والإيمان بالشراكة الحضارية: يمكن أن نعبر عن قيمة الوعي بالمماثلة

أيضا بمبدأ العاطفة الشاملة وهذا المبدأ يعبر عن وحدة الانفعالات الإنسانية واستجابات تكاد تكون ثابتة لدى الجميع اتجاه مثيرات معينة، حيث أشار عالم النفس الأمريكي بول إيكمان إلى أن تعبير جميع الكائنات الحية قديما وحديثا متماثل اتجاه الانفعالات النفسية الأساسية والتي هي الاشمئزاز، الفرح، الحزن، الغضب، الخوف والدهشة، وإنما ما يبدو مختلفا هو في الحقيقة يعود إلى مدى التصريح أو الكتمان لهذه الانفعالات بحسب تأثير ثقافة كل شخص في ذلك، (أورد في: براهيم، 2020) وبالتالي فإن الوعي بهذه الحقيقة يعزز الشعور بالآخر والوعي بالمماثلة والتي تستوجب التغيير وإلغاء النظرة الفوقية للذات الغربية مقابل نظرة التهميش للحضارة الشرقية، والتوجه نحو بناء

علاقات إنسانية متكافئة وندية بين الحضارات تراعى فيها الاختلافات الحضارية بين مختلف الكيانات الثقافية، وأضاف سوکاج (2018) أنه لا أفضلية لجنس أو عرق على الآخر لا من الناحية البيولوجية أو الدينية أو العرقية وهو ما يطرح ضرورة المساواة والتكافؤ في الحقوق والفرص بين الحضارات وحتى الأفراد.

بالنسبة لعزوزي (1999) فإن هذا المبدأ لن يتحقق إذا لم يسعى كل طرف إلى أن يتعرف على الطرف الآخر وأن يبذل مجهودا في سبيل فهمه، وهو ما يساهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الكيان الثقافي الآخر المقابل. وفي هذا يقول حسن عزوزي: "نرى أنه لا قيمة للحديث عن الحوار بين الحضارات والأديان إذا لم يسع أتباع كل حضارة أو دين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها". إضافة لذلك يجب الوعي والإيمان بالشراكة الحضارية وأن المنجز الحضاري هو منجز الإنسانية جمعاء، ولا يمكن أن تتفرد حضارة لوحدها في بناء حضاري متكامل دون أن يكون به رواسب من حضارات أخرى، أو امتداد لثقافات سابقة، فالغرب المادي والشرق الأخلاقي لا يمكن أن يبني أحدهما حضارة ويسعى لاستمرارها دون أن يكون هناك تكامل بين المنجزين المادي والروحي، والوعي بهذا الأمر يكرس فكرة التكامل الحضاري بين الكيانات الثقافية ويسهل عمليات التواصل والتفاعل والحوار بينها في إطار تحقيق هذا التكامل.

▪ **احترام الاختلاف والتنوع الثقافي:** في مقابل الوعي بالمماثلة، أشار جارودي (1999) إلى ضرورة الوعي بالاختلاف والمغايرة وخصوصية الأمم والشعوب واختلاف الثقافات، وليس بالضرورة أن يحيى الجميع وفق نمط واحد، فالحوار لا يسعى إلى أن يتغير كيان الآخر أو أن تمحى هويته أو أن يختفي وجوده الحضاري. بل يستلزم تحولا في الأطر الفلسفية والثقافية لحضارة ما، ويتطلب جهدا في التواضع الفكري والقبول للاختلاف والتعددية الثقافية، وهو ما يسمح لكل طرف أن يكون ويصبح ما هو ، ف"إذا أريد للحديث عن أخلاقيات الحوار بين الثقافات أن يكون بناء، فإنه يتطلب الوعي بأهمية ظاهرة الاختلاف الثقافي باعتبارها إحدى الخصائص الأساسية للمجتمعات البشرية" (الدواي، 2013، ص 105)، والوعي باختلاف الآخر

وخصوصيته يطرح ضرورة التفهم للكيانات الثقافية الأخرى، والاحترام والمساواة والتكافؤ في الحقوق والفرص، وعدم المساس بكرامة الآخر وضرورة احترام المعتقد والتسامح الديني. وأكد الداوي (2013) أن مفهوم التسامح قد اكتسب في البداية دلالات دينية خاصة في الفكر الغربي الحديث بداية من النصف الثاني من القرن السادس عشر، وما رافقه من حركات الإصلاح الديني المسيحي نتيجة الحروب المذهبية الدامية التي قادتها الغالبية الكاثوليكية ضد الأقلية البروتستانتية في أوروبا الغربية، الأمر الذي استدعى الدعوة للتسامح الديني وتقبل الاختلاف في المعتقد، هو الأمر الذي دفع بالكثير إلى رفع شعارات التسامح الديني والعيش المشترك مع الآخر المختلف عقائدياً ومذهبياً، وكان من أهم ما أنتجه الفكر الغربي في هذه الفترة هي كتابات فولتير، وجون لوك الداعية لتبني ثقافة التسامح الديني. وبالتالي لا يحق لأي شخص أن يكره شخصاً آخر على تغيير معتقده، فقد جاء في المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ما يلي: "لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حرّيته في تغيير دينه أو معتقده، وحرّيته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة". غير أن مفهوم التسامح أصبح أكثر شمولية من كونه يقتصر على الجانب الديني، بل يشمل تقبل اختلاف الحضارات الأخرى في كل المجالات، لأن احترام الحضارات الأخرى والوعي بمقومات هويتها سواء الثقافية أو الدينية من شأنه أن يفتح سبل الحوار الفعال بين الشعوب والاستفادة من هذا الاختلاف وبالتالي الانفتاح على الآخر في إطار إنساني موحد مهما اختلفت الأجناس أو الأعراق.

■ **التضامن:** ففي ظل ما تشهده الإنسانية اليوم من أزمت الفقر والتهجير وسياسيات الإبادة والاضطهاد والحروب الأهلية، بات من الضروري تفعيل مبدأ التضامن كقيمة إنسانية عليا بشقيه المادي والمعنوي، فمصير الإنسان ليس محصوراً فيما يمكنه أن يقوم به لنجاته، بل إن مصيره مرتبط بالإنسانية جمعاء، وبالمسؤولية الملقاة على عاتق الآخرين اتجاه بعضهم، والحديث عن التضامن بين الأفراد يحيلنا للحديث عن التضامن بين الشعوب والحضارات، من خلال وضع مشاريع عالمية

لضمان التوازن العالمي ومجابهة الأزمات، لأن أزمة حضارة ما أو شعب ما هي أزمة إنسانية لا يمكن أن تنفصل عن الكل الحضاري والعالمي التي هي جزء منه، وبالتالي يجب توجيه الوعي وبرمجته لإدراك ضرورة حمل هموم البشرية كهموم شخصية، والوعي بالمصير المشترك للإنسانية جمعاء، فرغم سياسات التعاون الدولي إلا أن هذه السياسات ذاتها تلغي بعض الشعوب من أن تحظى بالمساعدة أو التضامن الذي من شأنه أن يرفع عن الشعوب همومها. ولقد كان الفيلسوف الفرنسي إدغار موران (1921) من أهم الداعين لتبني قيمة التضامن بين الحضارات من خلال تبني دعوات وإرسالها لوكالات الأمم المتحدة يطالب فيها بضرورة توفير الغذاء والدواء والمال لمن هم بحاجة له. (أورد في: بلخضر، 2021) ، وفي ذات السياق اعتبر روجيه جارودي أن حوار الحضارات الحقيقي لا يتحقق إلا إذا اعتبر كل شخص الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزء من ذاته ومن كيانه (أورد في: جوادة، 2022).

❖ آليات تفعيل الأخلاق في الحوار الحضاري:

■ **المناهج التعليمية:** تشكل المؤسسات التعليمية منظومة متكاملة تبدأ من الطفولة إلى الجامعة، وتضطلع طوال هذه المراحل بمهمة تربية وأخلاقية فعالة، من خلال الاهتمام بسلوك الفرد ومحاولة تقويمه، وإعادة تهيئة منظومة الأفكار وترسيخ مبادئ وقيم تقبل الآخر والحوار والعيش المشترك. وبالحديث عن المناهج التربوية في المجتمعات الإسلامية نجد أنها وثيقة الصلة بحياة الأفراد والمجتمعات، تحمل في طياتها قيم التسامح وتقبل الاختلاف واحترام الآخر بمعتقداته وثقافته وتفكيره، وهو ما يجعل من التعليم والمناهج التربوية وسيلة لتكريس مبادئ الحوار والانفتاح على الآخر في جو أخلاقي إنساني بعيدا عن مظاهر الفوقية والرفض للاختلاف. وعليه من واجب القائمين على إعداد المناهج التربوية في مختلف الأطوار أن يراعوا مدى تأثير هذه البرامج في بلورة فكر الناشئين وفي رسم تصوراتهم حول الحياة وحول الآخرين، وفي صنع أحكامهم على الأشياء، ومن هذا المنطلق يجب تكيف المناهج التربوية

بما يتناسب مع تحقيق الغايات الأخلاقية الكونية، ونشر ثقافة التعايش السلمي في ظل الإيمان بأن الاختلاف يعني التكامل ولا يعني الخلاف.

فلا تكمن رسالة التعليم الحقيقية أو مهمة المناهج التعليمية في مجرد التعريف بالحضارات الأخرى، وإنما تتجسد مهمة التعليم الحق في تنمية الوعي بالقيم الحضارية المشتركة، كقيم الوعي بالمماتلة. وأكد زقزوق (2004) على ضرورة نبذ كل تمييز أو أفضلية أو تفوق، واحترام الآخر وحضارته وثقافته مهما بلغت درجة الاختلاف بينه وبين حضارتنا، وهي قيم يجب أن تسعى كل الجهات المسؤولة إلى غرسها في عقول الناشئة في مختلف مراحل التعليم لخلق مناخ ملائم لإجراء حوار حضاري مثمر.

■ وسائل الإعلام: اعتبر أمين (1931) أن الإعلام مظهر من مظاهر الحضارة والتطور التكنولوجي، ومهما اختلفت أشكاله فإنه يبقى القوة الأكثر تأثيراً في حياة الشعوب وخياراتها ومبادئها، ولا يمكن لأي مجتمع أن يحيى بمعزل عن مستجدات الواقع التي تعرضها وسائل الإعلام المختلفة. وبذلك يصبح الإعلام سواء كان مسموعاً أو مرئياً أو مقروءاً في مقدمة الآليات التي يمكن أن نستند إليها في إرساء قيم الحوار واحترام الآخر، والسعي لنشر أخلاق كونية مشتركة تساهم في تسيير وتوجيه عملية الحوار بين الأمم والحضارات بما من شأنه أن يسهم في الارتقاء بالإنسانية ومجابهة الصعاب. فإذا ما وجهت هذه الطاقة بما تحمله من قدرة هائلة على التأثير في الأفراد والشعوب وحتى في عمليات صنع القرار، بصورة إيجابية وفعالة من خلال صنع برامج وحصص ووثائقيات تعنى بعرض كل ما من شأنه أن يعزز قيم الحوار الهادف بين الحضارات، ونبذ خطاب الكراهية والإيديولوجيات الداعمة للصراع والمعادية للإنسانية، فمن شأنها أن تصبح بذلك أداة حقيقية لشيوع ثقافة الحوار مع الآخر وبداية لنهاية الصراعات الحضارية. فإذا كانت مناهج التعليم يقتصر أثرها على أفراد دولة معينة، فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تحمل رسائل أوسع انتشاراً باعتبار الإعلام ألقى قوالب الزمان والمكان، وأصبح بما يحمله من معطيات يصل إلى كل مكان في العالم في أي وقت.

■ **مواقع التواصل الاجتماعي:** أضحت وسائل التواصل الاجتماعي اليوم جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان، وواقعاً لا يمكن إنكاره أو إلغاء دوره في التأثير على القرارات وتوجيه الرأي العام، باعتبارها تعكس رأي الأغلبية وتعطي للجميع القدرة على المشاركة في الحياة العالمية. وفي خضم التطور الذي وصلت إليه وسائل التواصل الاجتماعي نجدها فتحت بذلك أمام الجميع أبواب التواصل والحوار مع الآخر المختلف ثقافياً والبعيد جغرافياً، وهو ما يتيح التعرف على الحضارات الأخرى وفهم مكوناتها والوقوف على مقومات هويتها ومنه الوعي بالاختلاف والتنوع الثقافي وتقبله. ففي ظل وجود العديد من المواقع والصفحات التي تنشر خطاب الكراهية وترفض الاختلاف وتدعو للعنصرية وتؤمن بالتفوق الغربي، نجد في المقابل دعوات أوسع وصفحات ومواقع أكثر تتبنى قيم مشتركة بين الإنسانية وتدعو لتقبل الاختلاف، وهو ما يجعل من التواصل مع الآخر قاعدة يمكن الانطلاق منها للترويج لثقافة المواطنة الكونية وتقبل الغيرية، من خلال تصحيح التصورات المغلوطة التي تكونت في أذهان الأفراد وانعكست على علاقة الحضارات ببعضها. ووفقاً للفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (1929) يعتبر التواصل الصوت الوحيد القادر على توحيد عالم فقد كل مرجعياته، ففي ظل التحولات التي تشهدها المجتمعات الحديثة، ازداد التركيز على قيمة التواصل كآلية لمعالجة المشاكل التي نشأت بسبب الاختيارات الأساسية التي قامت بها هذه المجتمعات. حيث يتطلع البشر اليوم إلى عصر الاتصال والتواصل (أورد في: براهمي، 2020) الذي يفتح آفاق الحوار ويشجع الانفتاح على الآخر، ويعزز الوعي بالتنوع وضرورة احترام الاختلاف وقبول الآخر بكامل هويته، دون أن نحاول تغييره أو تجاوزه في تعاملنا معه.

❖ **خاتمة:** من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة يمكن القول أن حوار الحضارات اليوم بات ضرورة وحتمية في ظل ما تشهده الإنسانية من صدامات وحروب، ولا يمكن لهذه الأزمات الإنسانية أن تنتهي ما لم يحمل كل طرف على عاتقه مهمة التعرف على الآخر، وما لم يعي كل طرف أن الحوار الحضاري هو خلاص البشرية من همومها، ولكن ليس أي حوار يمكن أن يكون فيه خلاص البشرية ما لم يكن متشعباً بالقيم الأخلاقية والمبادئ

الإنسانية المشتركة التي من شأنها أن تعزز في الأفراد والشعوب الوعي بضرورة تقبل الاختلاف واعتباره دعامة للتكامل الحضاري، على أن تحمل كل الجهات الوصية شعار السلام العالمي من خلال توجيه القوى المؤثرة في سبيل تحقيق هذه الغاية الحضارية.

وبالتالي نخلص من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي يمكن عرضها فيما يلي:

✓ الحضارات كل متكامل يشكل الإنسانية برمتها، وليس ثمة أفضلية لحضارة على أخرى لا في الحقوق ولا في الفرص.

✓ لا يمكن أن يكون صدام الحضارات تعبيراً عن واقع الإنسانية، بل هو حالة من الهمجية والصراع الذي يهدد كيان الأفراد والأمم.

✓ الحوار الحضاري سبيل للتكامل الإيجابي الفعال الذي من شأنه أن ينهي سلسلة الصراع والخلاف بين الشعوب ما إذا كان قائماً على المبادئ الأخلاقية الكونية.

✓ الاختلاف والتعدد والتنوع ليس مبرر للحرب ولا يحمل أي دعوة للصراع والافتتال، بل هو سبيل للتفاعل الإيجابي والتكامل.

✓ الهدف الأساسي من الحوار الحضاري ليس الأسلمة، ولا التنصير أو طمس الهوية دينية كانت أو فكرية أو ثقافية، بل الغاية أن يعي كل طرف خصوصية الطرف الآخر دون أي سعي لمحو هوية الذات أو الذوبان في الآخر، وبالتالي العيش في خضم هذا الاختلاف والتنوع الثقافي والإيديولوجي.

وعليه يمكن أن نقدم بعض الاقتراحات:

- ضرورة برمجة الوعي الجماعي بأهمية الحوار ونبذ التطرف أو التعصب.
- وضع مناهج تعليمية من شأنها أن تزرع في الناشئين قيم المواطنة الكونية والوعي بالاختلاف والتنوع الثقافي الذي يكمل الذات.
- متابعة ما تعرضه وسائل الإعلام ومنصات التواصل بهدف الحد من خطاب الكراهية والممارسات اللاأخلاقية الداعية لسياسة الصدام مع الحضارات الأخرى، ورفض الآخر المختلف.

- إقحام المراكز الدينية في الدعوة لتبني ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر وتوعية الأفراد بضرورة التسامح الديني.

❖ قائمة المراجع:

1. أنيس، إبراهيم (2004). المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
2. أحمد بن محمد، ابن مسكويه (1329 هـ). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. مصر: المطبعة الحسينية المصرية.
3. ابن منظور (1290). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
4. أمين، أحمد (1931). الأخلاق. مصر: دار الكتب المصرية.
5. العسال، أحمد (1996). حوار الحضارات. القاهرة: مكتبة وهبة.
6. أبادي، الفيروز (1978). القاموس المحيط. لبنان: دار الفكر.
7. الناصر، إبراهيم (2004). حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة. مجلة البيان، العدد 2، الصفحات 39-46.
8. عبود، أميمة (2008). ضمن الحوار مع الغرب: آلياته، أهدافه، دوافعه. سوريا: دار الفكر.
9. صليبا، جميل (1982). المعجم الفلسفي، الجزء الأول. لبنان: دار الكتاب اللبناني.
10. عزوزي، حسن (1999). من أجل تكريس مفهوم: تعارف الحضارات. مجلة الوعي الإسلامي، العدد 406، الصفحات 44-45.
11. جوادة، خديجة (15 جوان 2022). روجيه جارودي ومشروع حوار الحضارات مقارنة بين المنطلقات والإمكانات. مجلة الإحياء، المجلد 22، العدد 31، الصفحات 639-658.
12. حسين، رجا (2007). حوار الحضارات بين الواقع والطموح. السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع.
13. جارودي، روجيه (1999). في سبيل حوار. بيروت: عويدات للنشر والطباعة.
14. سوكاج، زهير (2018). من حوار الحضارات إلى حضارات الحوار. قطر: اللجنة القطرية لتحالف الحضارات.
15. براهيم، سليمة. (15 جانفي، 2020). فاعلية الفكر الأخلاقي في تعزيز حوار الحضارات. مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 12، العدد 01، الصفحات 513-520.
16. ابن خلدون، عبد الرحمان (2001). المقدمة. المجلد 1. لبنان: دار الفكر.
17. الدواوي، عبد الرزاق (2013). في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات. لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
18. الشارود، علي جابر العبد (أوت 2019). الحوار مفهومًا وتأسيسًا وواقعًا. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، المجلد 35، العدد 2، الصفحات 465-559.
19. الجرجاني، السيد الشريف (بلا تاريخ). معجم التعريفات. دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
20. بن نبي، مالك (1991). القضايا الكبرى. سوريا: دار الفكر.
21. مبروك، محمد إبراهيم (2002). الإسلام والغرب الأمريكي. القاهرة: مركز الحضارة العربية.
22. زقروق، محمد حمدي (2004). الإسلام وقضايا الحوار. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
23. اللبودي، منى (2005). الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه. مصر: مكتبة وهبة.
24. موهوب، أمال. (سبتمبر 2017). القيمة الأخلاقية من منظور طه عبد الرحمان. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد 9، العدد 30، الصفحات 137-146.
25. مسعيد، نبيل. (28 جانفي 2021). فلسفة الحضارة عند أرنولد توينبي. مجلة الإحياء، المجلد 21، العدد 01، الصفحات 791-812.
26. بلخضر، وحيد. (20 ديسمبر 2021). التضامن كشرط من شروط السياسة الحضارية لدى إدغار موران. سلسلة الأنوار. المجلد 11، العدد 02، الصفحات 208-214.
27. Procter, P. (1984). Longman dictionary of contemporary English. Beirut: Librairie du Liban.

